

وقبل موتي

آلاء قطراوي، فلسطين

1

البيت

وقبل موتي

نازفاً أطلال بيتي

حاملاً ظهرِي المَقْوَس

فَلتَعَلَّمُوا بَأَنِّي خُدِلْتُ

وَأَنَّهُمْ قَد قَدَّمُوا لِحَمِي كَقَرْبَانٍ لِمَا أَسَمَوْهُ بِالْعَجَلِ الْمُقَدَّسِ

وَأَنَّهُ لَوْ أَمْطَرْتُ سَمَاوَنَا مِنْ فَوْقَهُمْ نِيَاكَ

وَلَوْ تَزَلَّزَلْتُ جِبَالَنَا وَسَجَّرْتُ بِحَارِنَا

فَلنُ يُصَدِّقُوا بَأَنَّنَا بِلَادُنَا

ويرحلوا

عن أرضنا

إلا بميثاقِ المسدسِ

*

وقبل موتي

تحت أطنانِ الرُّكامِ السَّاحِقَةِ

فلتعلّموا بَأَنِّي غُدِرْتُ

وَأَنَّهُمْ قَد رَاوَدُونِي كِي أَموتَ دُونَ قَمحِي

بالفنادقِ المناقفةُ
لكنّني رَفَضْتُ
وأَنهم قد أَلجموني كي أموتَ دونَ اسمي
بالشّطايا الحارقةِ
لكنّني صرختُ
هُويّتي
هُويّتي
يا أيّها الرّنادِقَةُ
فَمَرّقوني جهرةً أو مَرّقوني غَدرةً بخنجرِ الصّداقةِ
*

وقبل موتي
من رصاصِ مَسْحُ
فلتعلّموا بأنّني بَكَيْتُ
لأنّ قلبي نازفٌ من دونِ أخٍ
احتجته أشدّ أزري إنّما
يا حسرتي اكتشفتُ
بأنّه قد كان لي كالفخ
وأثّه بيني وبينه
مليونُ شرخٍ!
*

وقبل موتي
باحثاً عن لُقمةٍ
وخيمةٍ مواريةٍ
فلتعلّموا بأنّني نرقتُ
وأنّ روجي رفرفتُ فوق البلاد الحانيةِ

أحسُّها برغم ما بها منَ الحواجزِ

المجازرِ

المقابرِ

جميلةً ودافيةً

بلادنا

بلادنا

يا نبعَةَ الصَّبْرِ التي قد حَوَّلَتْ من دَمعةِ المقاومينَ

ساقيةً

ومن عيونِ جدِّي

سنابلَ لكلِّ أصنافِ الأسي

مداويةً

*

وقبل موتيُ

منهكاً من كلِّ حرفٍ

في صدى (يا ليتُ)

فلتعلموا بأنني احترقتُ

وأنَّ صوتي قد تشظَّى

سرمداً في الموتُ

وأنَّهم صبُّوا دمي مواقدَ للزيتِ

كم يشبهُ الزيتونِ جلدي

حينما كجذره انغرزتُ

لو أنني غنَّيتُ

هل ربَّما بكيتُ

لكنَّهم لن يقتلوني نازحاً

لن يقتلوا في مُقلَّتِي حُلماً يُسمَّى (البيتُ) !

12 نيسان / أبريل 2024

2

سراجُ من الزَّيْتِ المُنزَّلِ
"إذا كان لا بُدَّ أنْ أموت، فليأتِ موتي بالأمل، فليصبحْ حكاية"
الشاعر الدكتور الشهيد/ رفعت العرعير
(إليه)

احملْ بلادَكَ فوقَ ظَهْرِكَ
إنْ تَعِبْتَ بها
استرحْ

لا شيءَ نُسْرِجُ منه عَتَمَتَنَا
سوى ما قد تُهَرَّبُ من بقايا الزيتِ

وكأنما نطقتْ عيونُكَ في السماءِ:
"أنا هنا ما زلتُ"

وتطيرُ مثلَ قصيدةٍ أزلِيَّةِ
فردتْ جناحيها على كنعانَ جدِّكَ أولِ الآباءِ
حتى إنَّ بلفورَ اكتوى في قبره
فالسُّرُّ أنكَ منذ آلافِ السنينِ
وُلِدْتَ

إذْ كُلمَّا قصفوكَ
عُدْتُ
وأراك تفتحُ في الغيومِ ملاجئَ
للعابرينِ إلى السماءِ
يفتَشونَ بحسرةٍ عن بيتِ

فوقفتَ فيهمَ جامعاً أشتاتهمُ
وكأنَّما بدموعهم
صلَّيتُ

ماذا بعين غزاتنا
من قبل موتك قد رأيتُ؟
أترى قصيدتَكَ الأثيرةُ قد تصدَّتْ للقدائفِ
واحتمتُ في جُبَّةِ المعنى الذي أرسيتُ
فقصيدهُ وطنيَّةُ هزمتُ غزاةً ليسَ في ماضيهمُ
شعرٌ يُغمَّسُ زعتراً
في الزيتِ

والآنَ حينَ تَبِعْتَ شكسبيرَ
بأنَّكَ لن تكونَ سواكَ
حينَ تكونُ أنتُ

هل بعد موتك صرتَ حُرّاً
هل رأيتَ بلادنا تلكَ التي عَصَبُوا عيونَ مدينتي كي لا
تراها غيرَ في وحي الرؤى والموتِ

هل تحتَ رُمانِ الجليلِ غفوتُ؟
أرأيتَ عكا، ابنةَ البحرِ التي ذابتَ شواطئُها بنا
وَلَمَسْتَ سُوراً دَلَّ نابليونَ يوماً
وعرفتَ أنَّكَ ابنُ ابنِ حفيدِها
ذاك امتدادك لو علمتُ!

والآنَ فلتقرأ قصيدتَكَ الأخيرةَ فوقَ قبرِكَ شامخاً
عَنْ النشيدِ
فلا حواجزَ، لا جنودَ على الطريقِ

ولا رصاصَ

ولا قذائفَ

كلُّهم ماتوا

ووحدهُك في زحامِ الموتِ عِشْتُ

28 أيلول/ سبتمبر 2024